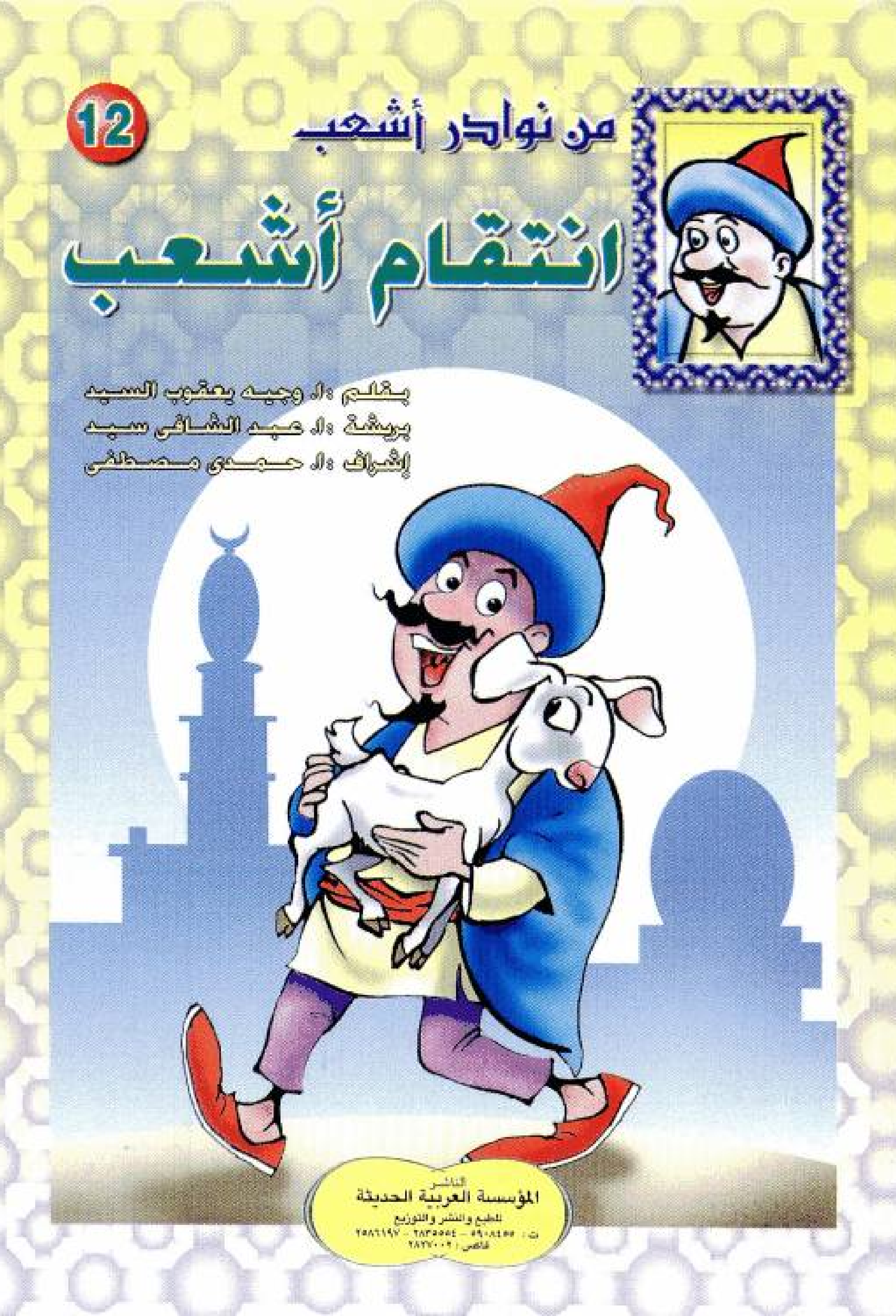

12
من نوادر أشعب
انتقام أشعب
بقلم: أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة: أ. عبد الشافى سيد
إشراف: أ. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



أشْعَبُ الطَّماع

شخْصِيّةٌ حقيقيّةٌ ، اشْتهرت بالنَّهَمِ
والشَّراهَةِ فى الأكْلِ ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ
بلا مُنَازِعٍ ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ
فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .
وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً
مَرِحَةً مَحْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفِه بالفُكاهَةِ
والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّةِ روحه
ومواقِفِهِ الطَّريفَةِ !

انتقام أشعب

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

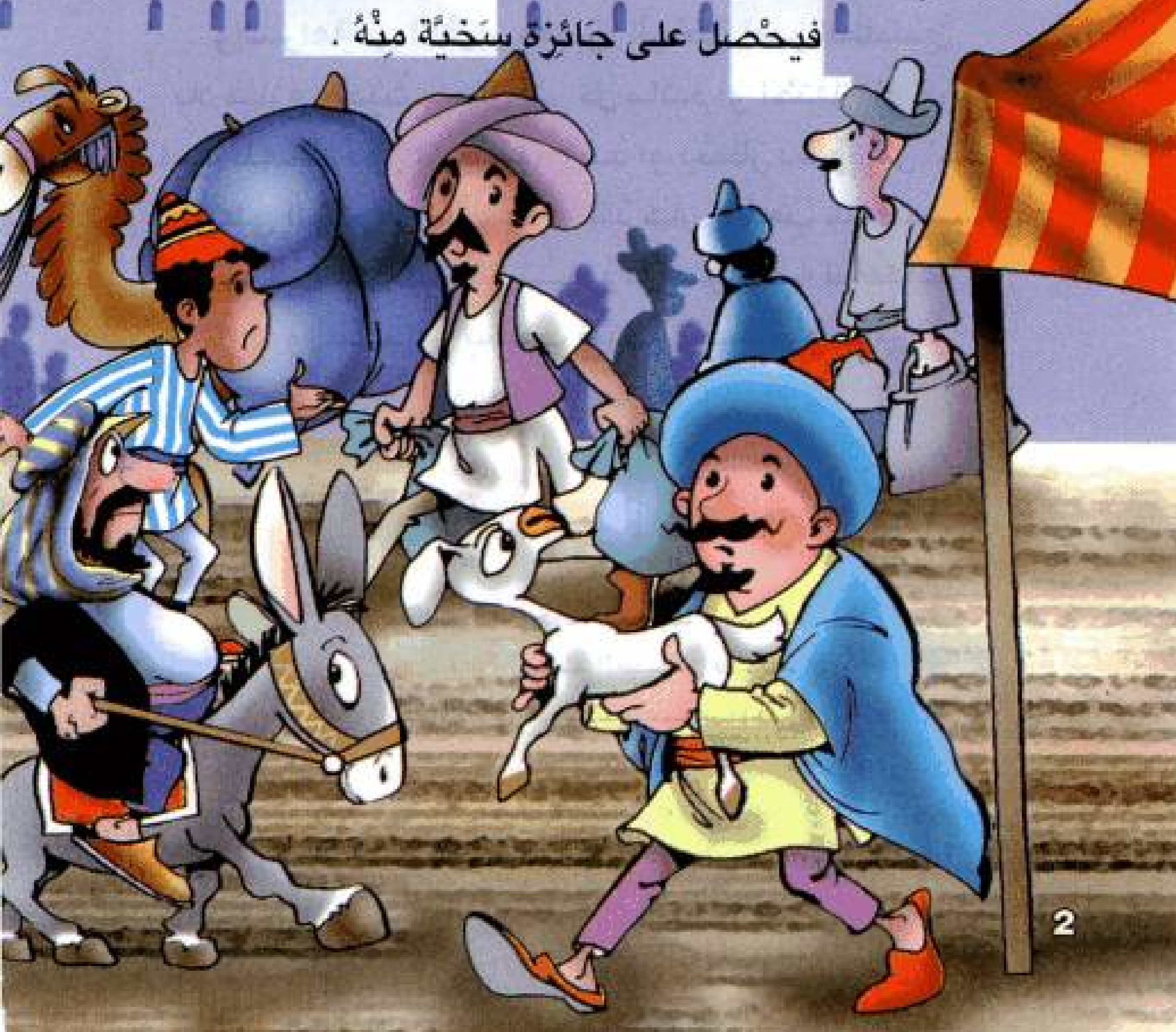
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كَانَ أَشْعَبُ على عَلاقةٍ طيِّبَةٍ بأَحدِ الأُمَرَاءِ ، لكِنَّ هذا الأميرَ كانَ بَخِيلاً ، فلَمْ يحْدُثْ أَنْ نال أَشعَبُ مِنْهُ مكافأةً تُذْكَرُ أو ظَفِرَ بأكْلَةٍ جَيِّدَةٍ .

تضَايقَ أَشْعَبُ ، وقالَ فى نفْسِه :

ـ لعلَّ هذا الأميرَ البخيلَ لا يُكافِئُ إلا مَنْ يقدِّم لهُ الْهدايا .

ثمَّ لمْ يلْبَثْ أَنْ ذَهبَ إلى السُّوقِ واشْتَرى جَدْيًا متوسِّطَ الحجْم ، دفع فيه دينارَيْنِ فقط ، وذَرَفَ دُمُوعَهُ الغَزيرَةَ وهو يُخْرِجُ الدِّينارَيْنِ مِنَ الْكيسِ ونوى أَنْ يَرْعاهُ حتَّى يكْبُرَ فيقدِّمه هديَّة لهذا الأمير فيحْصل على جائِزةٍ سَخيَّة مِنْهُ .



عاد أشعبُ إلى بَيْتِهِ وهو يحملُ الجَدْيَ على يدَيْه ، وبِمُجَرَّدِ أَنْ رَآَتْهُ زَوْجَتهُ أبدَتْ دهشَتَها وقالت :

- ما هذا يا أشعبُ ؟ أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأَفْضَلِ أن تَسْحَبَ هذا الجَدْيَ بدَلاً مِنْ أَنْ تَحْمِلَهُ هكذا طُوال الطَّريق ؟

وفي صرامةٍ أَجَابَ أَشْعَبُ :

- اسْكُتي يا امْرَأةُ ، فأنتِ لا تعلمِين مَنْزِلَةَ هذا الجَدْيِ منِّي !



ثُمَّ ذرفَ دَمْعَةً وهو يَمْسَحُ على رأسِ الجَدْىِ وقَالَ :

- إنَّ هذا الْجَدْىَ بِمنْزِلَةِ ابْنى (وردان) فهو و (وردان) سواء !

مَضَتِ الأَيَّامُ وأَشْعَبُ لا يُفارِقُ الْجَدْىَ الَّذى كَانَ يَدْعُوهُ ابْنَهُ ، وأَظْهَرَ اهْتمامَهُ الْكَبِيرَ بطعامِهِ ونظافتِهِ ، حتَّى صَارَ الْجَدْىُ فى حجْمٍ كَبيْرٍ ، وحَمَلَ اللَّحْمَ والشَّحْمَ ، وكَانَ أَشْعَبُ كلَّمَا عَادَ إلَى منْزِلِهِ سَألَ زَوْجَتَهُ باهْتمامٍ :

- كَيْفَ حالُ ابْنِى يا امْرأةُ ؟

فتُجِيبُ زَوْجَتُهُ فى سُخْرِيةٍ :

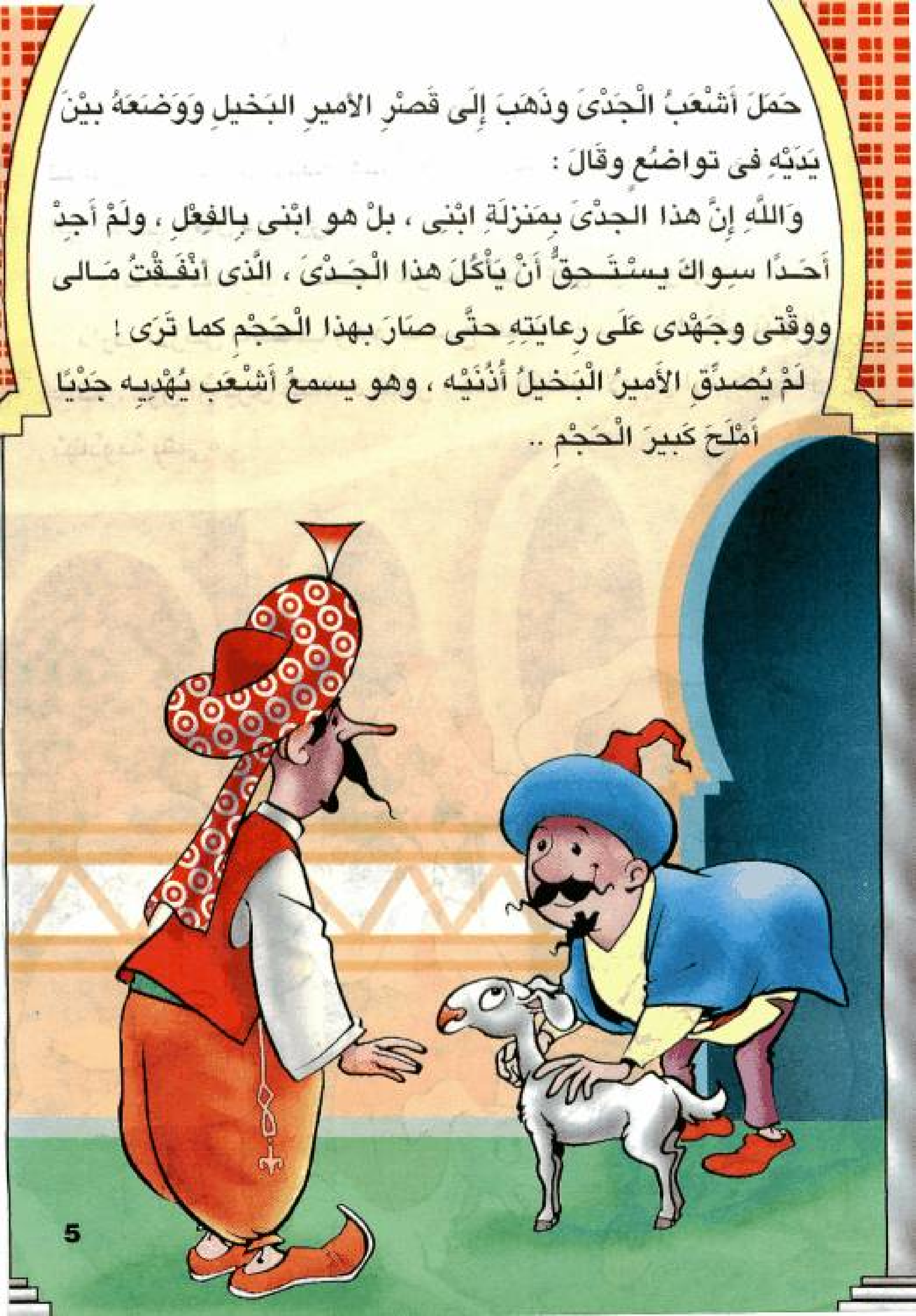
- اشْتَاقَ إلى رُؤْيَتِكَ وَمُجَالَستِكَ !



حَمَلَ أَشْعَبُ الْجَدْىَ وذَهَبَ إلَى قَصْرِ الأميرِ البَخيلِ وَوَضَعَهُ بيْنَ يَدَيْهِ فى تواضُعٍ وقَالَ :

وَاللّهِ إنَّ هذا الجدْىَ بِمَنزلَةِ ابْنِى ، بلْ هو ابْنى بِالفِعْلِ ، ولَمْ أَجِدْ أَحَدًا سِواكَ يسْتَحِقُّ أَنْ يَأْكُلَ هذا الْجَدْىَ ، الّذى أنْفَقْتُ مَالى ووقْتى وجَهْدى علَى رِعايَتِهِ حتّى صَارَ بهذا الْحَجْمِ كما تَرَى !

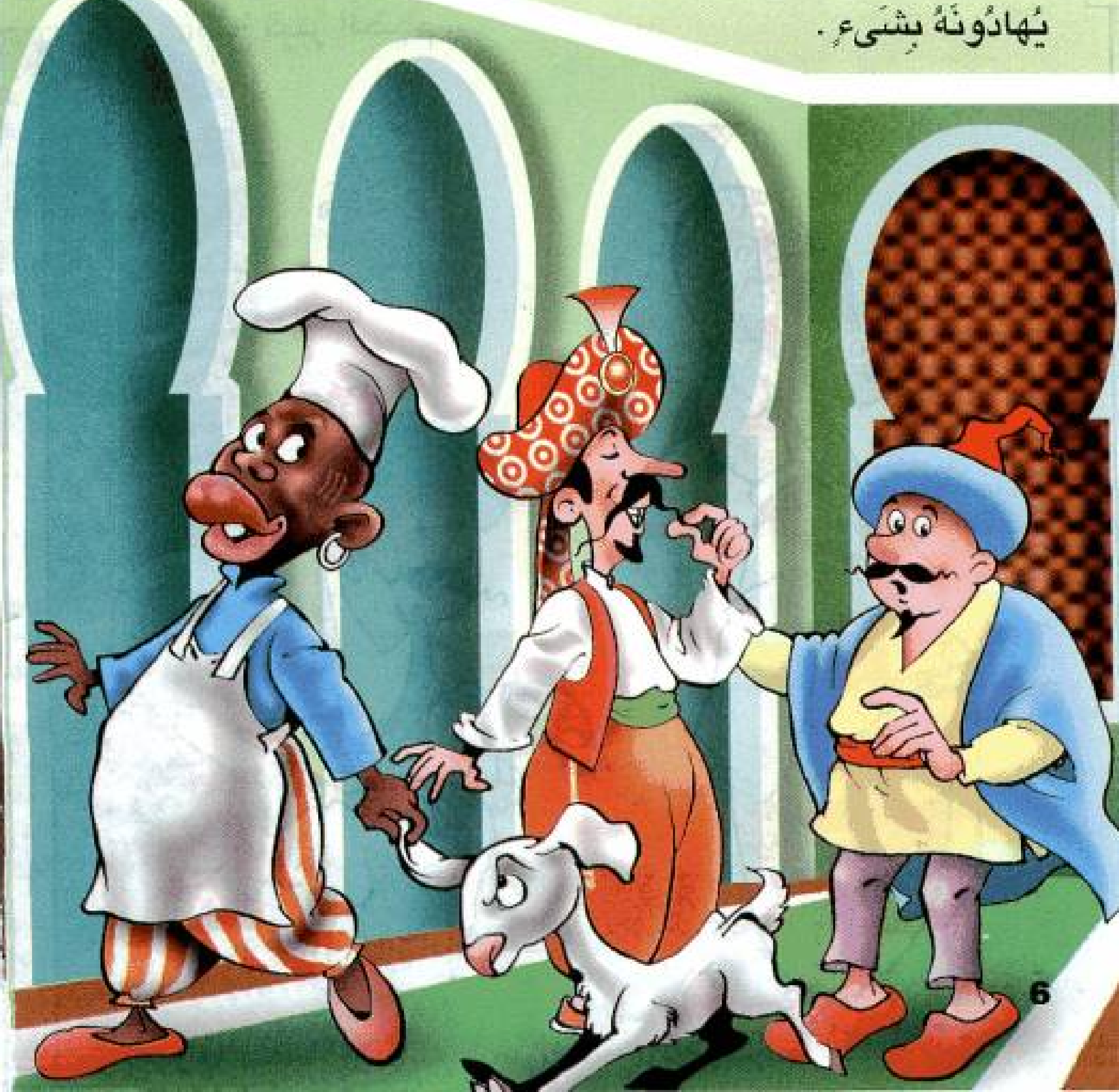
لَمْ يُصدِّقِ الأميرُ الْبَخيلُ أُذُنَيْه ، وهو يسمعُ أَشْعَب يُهْدِيه جَدْيًا أَمْلَحَ كَبيرَ الْحَجْمِ ..



ابتسَمَ الأَميرُ ابْتسامَةً فاترةً ، ونَظَرَ إِلى الْجَدْيِ نَظْرَةَ استِحْسانٍ ، ثُمَّ أَمرَ خادِمَهُ بِأَنْ يَذْبحَ هذا الْجَدْيَ ويسْمُطَهُ ويَشْوِيَهُ ، والتفتَ إِلى أَشْعَبَ وقَالَ في بُرودٍ :

- وأَنَا لكَ شاكرٌ يا أَشْعبُ ، فإِنَّ هذا يَدُلُّ علَى نُبْلِكَ وكَرَمِكَ .

دارَتَ الأَرْضُ بأَشْعَبَ وهو يَسْمَعُ كَلِماتِ الثَّناءِ والشُّكْرِ تنْهالُ علَيْه ، دونَ أَنْ يرَى مُكافأَةً تُذْكَرُ ، كما اعْتادَ الأَميرُ أَنْ يكافِئَ مَنْ يُهادُونَهُ بِشَيءٍ .

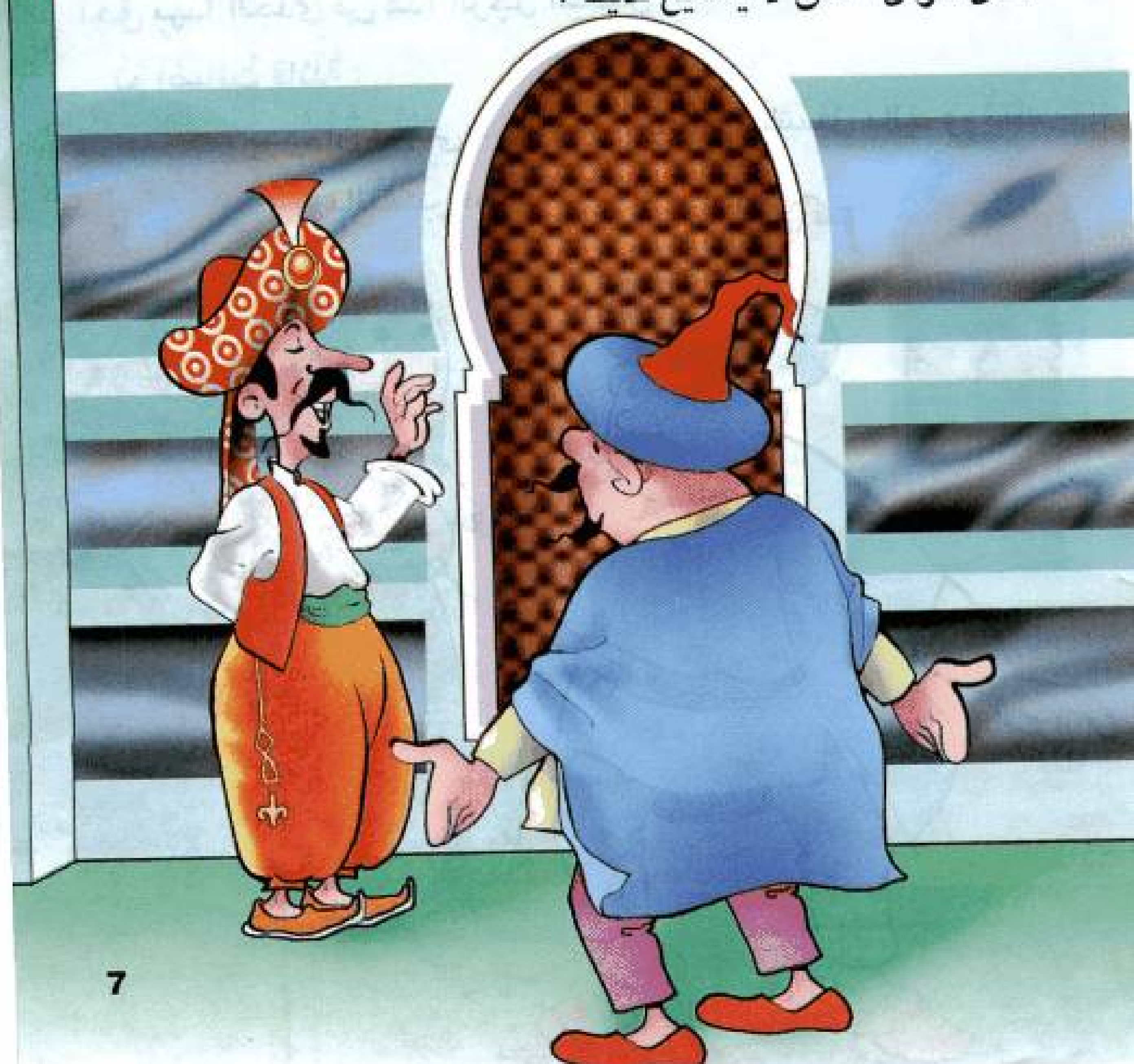


رَانَ الصَّمْتُ عَلَى أَشْعَبَ لِلَحظاتٍ ، لكنَّهُ قَضَى على الهوَاجِسِ الَّتى تمْلأُ نَفْسهُ وقَالَ فى صَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ :

- والْمُكَافأَةُ يا سَيِّدى ؟!

ردَّ الأَميرُ قائِلاً :

- لا تقْلَقْ يا أَشْعَبُ ، فَمُكافأَتُكَ فى الْحِفْظِ والصَّوْنِ ، ولكنَّكَ جِئْتَنِى فى وقْتٍ ليس مَعِى فيه دِرْهَمٌ ولا دينارٌ ، وأَنْتَ تَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ ، وأنَّ الْحقَّ لا يَضيعُ لدَيْنا !



لَمْ يتَوانَ أَشْعَبُ عَنِ الذَّهابِ لِلأَميرِ فى كلِّ وقْتٍ وحِينٍ ، مُطالبًا إِيَّاهُ بالجائِزَةِ الَّتى وهبَه إِيَّاها . لكنَّ الأَميرَ كَانَ قَدْ عقدَ الْعزْمَ عَلَى عَدَمِ إِعْطائِه شيْئًا .

ولَمَّا يَئِسَ أَشْعَبُ مِنَ الْحصولِ على الْجائِزَةِ ، عادَ إِلى بَيْتِهِ وهوَ يَجُرُّ أَذْيالَ الْخَيْبَةِ ، وراحَ يَقصُّ عَلَى زوْجتِهِ ما حدثَ ، فقالتْ مُعَاتِبَةً :

ـ لَقَدْ حذَّرْتُك مِنْ قبْلُ ، لكنَّك لَمْ تُصْغِ لِنُصْحى .. لقدْ كُنَّا ـ واللَّه ـ أَحقَّ بِهذا الْجَدْى مِنْ هذا الرَّجُلِ البخيلِ !!

ثُمَّ أَضافتْ قائِلَةً :

ـ يجبُ أَنْ تنْسَى هذا الأَمْرَ ، حتَّى لا تشْغَلَ بالَك ووقْتَك بالتَّفْكيرِ فيه .



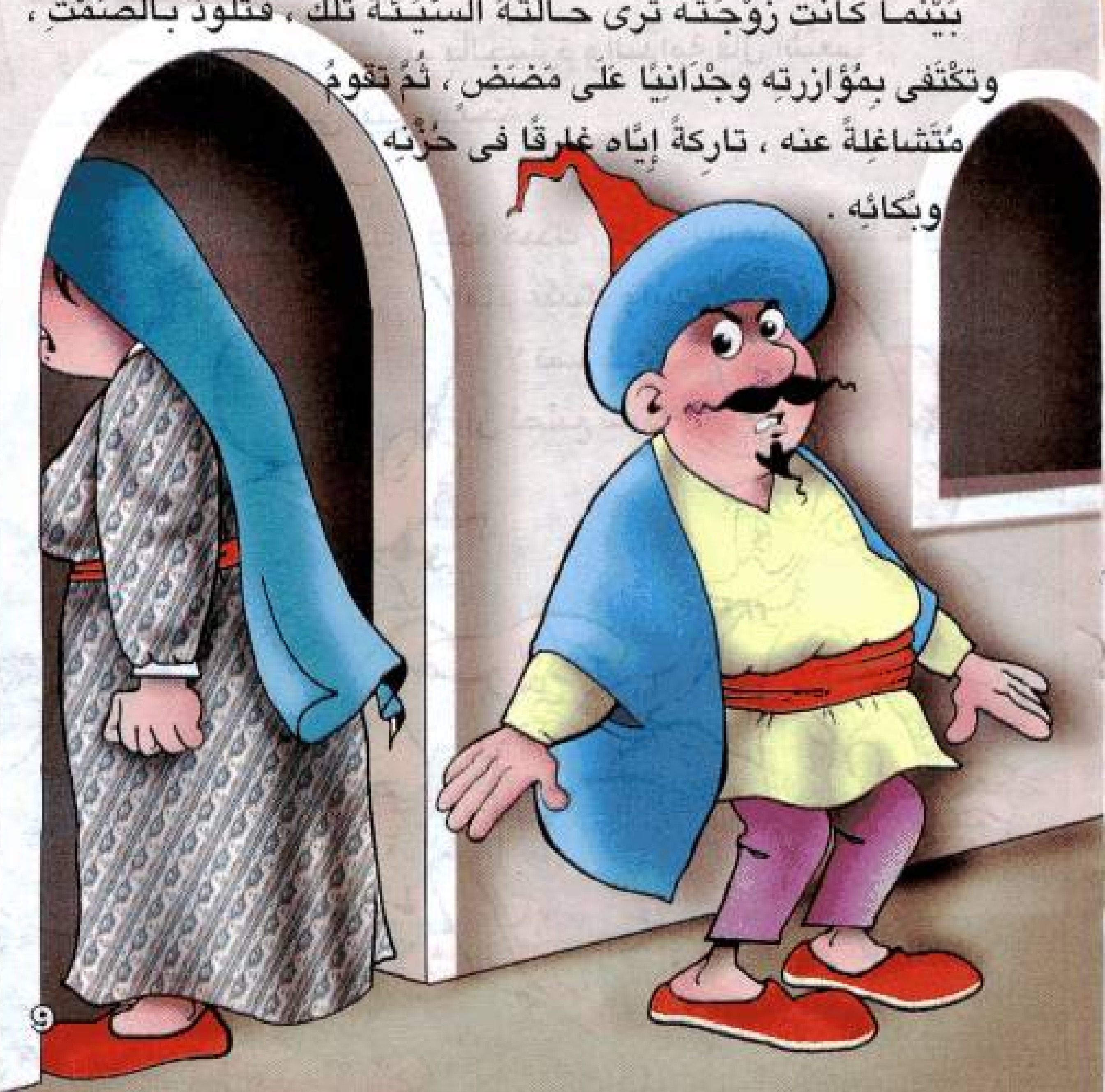
لكنَّ أشْعبَ كَانَ يسْمَعُ كلامَ زوْجَتِه ، فتزْدَادُ حسْرتُه ، وتسيلُ دُمُوعُه على خدِّه ، ويقولُ مُهدِّدًا :

ـ لكنِّى واللهِ لنْ أتْركَ حقِّى يضيعُ سُدًى ، ففى تركى لِحقِّى هلاكى .

ثُمَّ يُضيفُ بما يُشْبِهُ الهذَيانَ :

ـ وواللهِ لأَحْصُلَنَّ علَى أضْعافِ ثَمَنِ هذا الجدْىِ ، بسببِ تجاهُلِ هذا الأميرِ لى .

بيْنما كانت زوْجَتُه ترى حالَتَهُ السَّيِّئةَ تلْك ، فتلُوذُ بالصَّمْتِ ، وتكْتَفى بِمُؤازرتِه وجْدَانيًا علَى مَضَضٍ ، ثُمَّ تقومُ مُتَشاغِلةً عنه ، تارِكةً إيَّاه غارقًا فى حُزْنِه وبُكائِه .



أَيْقَنَ أَشْعبُ أَخيرًا أَنَّ انْتِظارَ مكافأةِ هذا الأَمِيرِ تُشْبِهُ السَّرابَ الَّذى يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً ومَا هوَ بماءٍ ، فقرَّرَ أَنْ يذْهَبَ إلى والدِ الأمِيرِ ويَشْكو ابْنَهُ لهُ .

دخلَ أَشْعبُ على والدِ الأَمِيرِ ، ودُموعُهُ تَجْرِى مِنْ عَيْنَيهِ أَنْهارًا ، وهوَ لا يكادُ يُبْصِرُ أَمَامَهُ مِنَ الحُزْنِ والأَلَم .

سألَ الرَّجُلُ أَشْعبَ فى اهْتِمام :

ـ مالى أراكَ على هذه الصُّورَةِ يا أَشْعبُ ، وما عَهِدْتُكَ إلاَّ رجُلاً مَرِحًا تُحبُّ الضَّحِكَ ؟

وفى صوْتٍ مَخْنوقٍ مَشُوبٍ بالحَسْرَةِ والنَّدامةِ قَالَ أَشْعبُ :

ـ لقدْ وثبَ ابْنُك على ابْنِى فذَبَحَهُ .

ثُمَّ أَضافَ وهوَ يَنْتَحبُ :

ـ تخيَّلْ أَنَّ ابْنَك ، فِلْذَةَ كَبِدِك ، كلَّ مالك مِنَ الدُّنيا .. يُذْبَحُ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وأَنْتَ لا تستطيعُ أَنْ تصْنَعَ شَيئًا ؟!



ارْتاعَ والدُ الأَمِيرِ ، وداخَلَهُ الفزَعُ .. وقَالَ وهوَ لا يُصَدِّقُ ما يسمعُهُ :

- ويْلَكَ يا أَشْعَبُ ؟ كَيْفَ يصْنَعُ ابْنِى بابْنِكَ هذا ولماذا ؟

انتحَبَ أَشْعَبُ وقَالَ :

- اسْأَلْهُ بنفْسِكَ عسَى أَنْ يُجِيبَكَ لماذا صَنَعَ بابْنِى هذا ؟

مسحَ الرَّجُلُ دُمُوعَ أَشْعَبَ الغزيرةَ وقَالَ :

- هذا الكلامُ الَّذى قُلْتَهُ الآنَ خطيرٌ ، فَلَوْ علِمَ به القاضى لاقْتَصَّ مِنَ ابْنِى يا أَشْعَبُ ، فاكْتُمْ هذا الْخبرَ ولا تتحدَّثْ به بعْدَ الآنَ .





هزَّ أشْعَبُ رأْسَه وقَالَ :

ـ واللَّهِ مَالى فى ابْنِكَ حيلَةٌ ، وهذا الكلامُ الَّذى قصصْتُهُ عليْكَ الآنَ لنْ يسْمعَ به أحدٌ غيْرُك .. وقدْ قرَّرْتُ أنْ أفوِّضَ أمْرى إلى اللَّهِ ثُمَّ إليْك ..

تأثَّرَ الرَّجُلُ بكلامِ أشْعَب ورقَّ لِحالهِ فأخْرجَ مِنْ جَيْبِهِ مِائَتَىْ دينَارٍ ، وقَالَ لهُ فى نَبْرَةٍ حزينةٍ :

ـ خُذْ هذه الدَّنانيرَ ، وإذا احْتَجْتَ أىَّ شَىءٍ فلكَ عِنْدنا ما تُحِبُّ .

قَبضَ أشْعَبُ على الدَّنانيرِ بِكلْتَا يديْه ، وقَالَ وهوَ يتصنَّعُ البُكاءَ والحُزْنَ :

ـ سامحَ اللَّهُ الأمِيرَ .. كَيْفَ يكونُ بهذه القَسْوَةِ ولَهُ أبٌ طيِّبٌ مثْلُكَ ؟

ثُمَّ خرجَ أَشْعَبُ عائدًا إلى بَيْتِه ، بَيْنما خَرَجَ والدُ الأميرِ المِسْكِينُ ، وهو لا يكادُ يُبْصِرُ مَا أَمَامَه بِسَببِ ما سَمِعَهُ ، وأَسْرَعَ قاصِدًا قصرَ ابْنِه .

لمْ ينْتَظِرِ الرَّجلُ حتى يَعْلَمَ ابْنُه بقدومِه ، فقدِ اقْتَحَمَ عليْهِ بابَ حُجْرتِهِ فوجدَهُ يمزَحُ مَعَ بعْضِ جُلَسَائِه ، فنظَرَ إليْه نظْرَةً مُنكْرَةً وقَالَ في غَيْظٍ :

ـ لا أَدْرِى كَيْفَ يُطَاوِعُكَ قَلْبُك فتلْهُوَ وتَمْزَحَ هكذا ، بعْدَ أَنْ فَعلْتَ فَعْلَتَكَ الشَّنْعاءَ !



لَمْ يَكَدِ الأَميرُ يرَى والدَه حتَّى قامَ احْتِرامًا ، وأَحسَّ أَنَّ الَّذى جاءَ بِهِ أَمرٌ مُهمٌّ ، فقَالَ وهو يُحاوِلُ تَهْدِئَتَه :

ـ اجلِسْ يا أبَتِ واسْتَرِحْ أَوَّلاً مِنْ عناءِ السَّفَرِ .

وفى لَهْجَةٍ حادَّةٍ وقَاطِعَةٍ قَالَ الأَبُ :

ـ لنْ أَجْلِسَ ولنْ أَسْتَرِيحَ إلاَّ بعْدَ أَنْ تُخْبِرَنِى لماذا ذَبحْتَ ابْنَ أَشْعَبَ ؟ وكيْفَ طاوعَكَ قلْبُكَ أَنْ تذْبَحَهُ أَمَامَهُ ؟

ثُمَّ أَضافَ الأَبُ قائِلاً وهُوَ يتميَّزُ مِنَ شِدَّةِ الْحُزْنِ :

ـ هلْ نُزِعَتِ الرَّحمةُ مِنْ قلْبِك ؟



لمْ يكدِ الأَمِيرُ يسْمعُ كلامَ والدِهِ ، حتَّى انْفَجَرَ بالضَّحِكِ وشارَكَهُ في ضَحِكِهِ كلُّ الْحاضِرِينَ ، وقَالَ لوالدِهِ وهوَ لا يَكادُ يَتَماسَكُ :

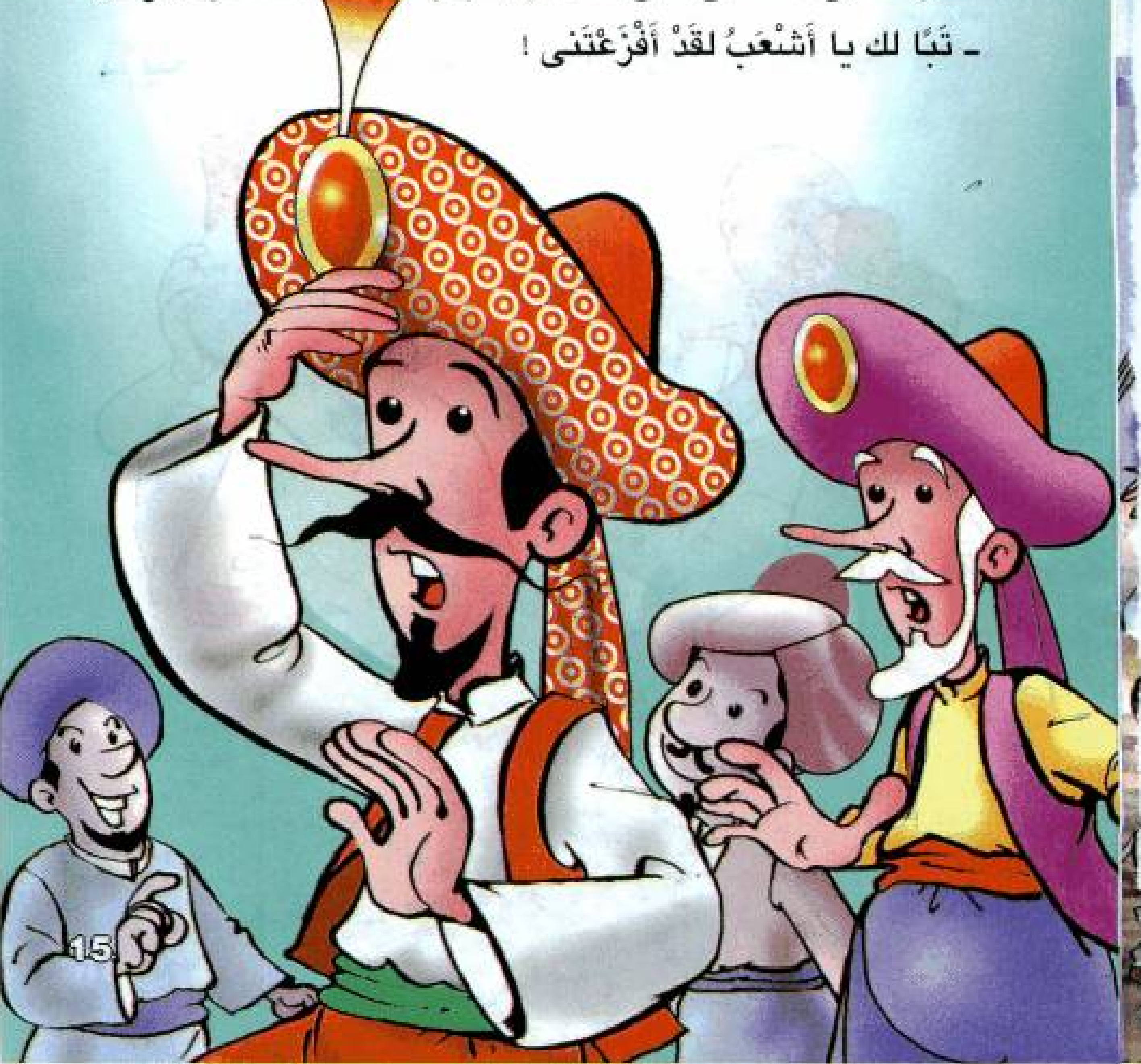
- أَوَ أَخْبَرَكَ أَشْعَبُ بالْخَبَرَ ؟

ردَّ الأَبُ :

- نعَمْ وأَعْطَيْتُهُ مِائَتَى دينارٍ حتَّى لا يَفْتَحَ فَمَهُ بكلمَةٍ .

قصَّ الابْنُ الْقِصَّةَ بالتَّفْصيلِ علَى أَبِيه فلَمْ يتمالَكْ نَفْسَه مِنَ الضَّحِكِ حتَّى اسْتَلقَى على قفاهُ مِنْ شِدَّةِ الضَّحِكِ ، وقَالَ :

- تَبًا لك يا أَشْعَبُ لقَدْ أَفْزَعْتَنى !



زالَ الْخوْفُ عنِ الرَّجُلِ بعْد أنْ اطْمأنَّ على براءةِ ابْنه ، وتأكَّدَ لهُ أنَّ أشْعَبَ اخْتَلقَ هذه القصَّةَ ، وظلَّ يضْحكُ منْ هذا الْموْقفِ لفَتْرةٍ طويلَةٍ ، وكانَ كُلَّما الْتَقى بأشْعَبَ عاتَبَهُ ضاحِكًا :

- لقَدْ أفْزَعْتَني يا أشْعَبُ أفزَعكَ اللَّهُ !

لكنَّ أشْعَبَ كانَ يضْحكُ منْ قلْبه ، ويرُدُّ قائلاً :

- إنَّ إفْزاعَ ابْنكَ لنا فى الْجَدْي ، أكْبَرُ منْ إفْزاعنا لكَ فى المائتَيْ دينارٍ

ثُمَّ ينْصرفُ مصْحُوبًا بالضَّحكاتِ الْممزوجةِ بالسُّخْرِيَةِ !

رقم الإيداع : ١٦٥٠٠
الترقيم الدولى : ٦ ـ ٣٠٦ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

